حرب الإستقلال الأمريكية 1783-1776

ظهرت ملامح حرب الإستقلال الأمريكية عندما سعى الملك جورج الثالث الذي خلف جده جورج الثاني عام 1760 الى ربط سياسة الإمبراطورية الإنجليزية في العالم الجديد بالعرش البريطاني عن طريق فرض سلسلة من الضرائب على هذه المستعمرات غايتها العمل على جعل هذه المستعمرات تتحمل نفقات دفاعها وإدارتها لمستعمراتها، وتمويل الإقتصاد الإنجليزي بعد التراجع الذي حل به على إثر نتائج حرب السبع سنوات.

للأسباب السالفة الذكر إذا قام جون قرانفل الذي كان على رأس حكومة لندن بفرض ضريبة عام 1764 على النبيذ والعسل والحرير والبن، كما فرض أيضا ضريبة على الدمغة عام 1765 بإلزام أصحاب المال والأعمال إلصاق طابع يتراح سعره بين ستة بنسات وستة جنيهات على ظهر الصحف والمجلات وعقود البيع... فثار سكان هذه المستعمرات ضدها لأنهم اعتبروا مثل هذا الإجراء تعد على حقوقهم وتقليصا لنفوذهم في مستعمراتهم ولأن فرض الضرائب هو من اختصاص مجلسهم النيابي. ومن أجل هذا الأمر عقد مؤتمر في نيويورك من طرف "أبناء الحرية" في أكتوبر 1765 اشتركت فيه تسع ولايات بسبع وعشرين مندوب، وانتهى المؤتمر بمطالبة المجتمعين حكومة لندن بإلغاء هذه الضريبة. وبالرغم من أن حكومة انجلترا قد ألغت الضريبة المذكورة إلا أن البرلمان الإنجليزي أقر قانونا يؤكد صلاحية البرلمان الإنجليزي لفرض الضرائب على المستعمرات عام 1766 وبذلك ظل عدم الوفاق قائما بين بين سكان المستعمرات في انجلترا وبين الحكومة الإنجليزية في لندن.

أما في عهد تاونشند شارل على رأس الحكومة فقد واصلت انجلترا فرض الضرائب على بعض السلع كالزيت والزجاج والورق والرصاص المستورد، وكان أشد هذه الضرائب ما فرضته على استراد الشاي مما جعل الأهالي في المستعمرات الأمريكية يعملون على شراء الشاي بطرق غير رسمية عن طريق الهولنديين الذين كانوا يدخلون الشاي الى أمريكا بشكل غير رسمي وهو ما جعل الحكومة الإنجليزية ترسل كمية كبيرة من الشاي من انجلترا الى ميناء بوسطن في أمريكا لإجبار الأهالي الأمريكان على شرائه. غير أن هذه الإجراءات قوبلت بهيجان شعبي كبير كان على رأسه ساموبل آدامز والذي أدى في نهاية الأمر الى ما عرف في التاريخ الأمريكي بمذبحة بوسطن في 05 مارس 1770(اشتباك بين سكان المستعمرة وكتيبتين من الجنود سعوا لتطبيق هذه الضريبة وهو ما أدى الى مقتل خمسة أشخاص في صفوف الأمريكيين).

بحلول سنة 1773، عملت الحكومة الإنجليزية على منح شركة الهند الشرقية احتكار بيع الشاي في المستعمرات الإنجليزية. كان أول عمل قامت به الشركة هو خفض أسعار الشاي وبالتالي شل عملية التهريب. عمل التجار المحليين بعدها على مقاومة تدابير هذه الشركة بأن رفض وكلائها تصريف منتجاتها. وأمام إصرار حاكم بوسطن على تفريغ كمية من الشاي كانت على متن ثلاث سفن، هاجمت جماعة من الأمريكيين متنكرين في زي الهنود على رأسها آدامز هذه السفن وألقت بحمولتها في البحر ليلة 16 مارس 1773 (حفلة شاي بوسطن) قدرت هذه الحمولة بـ 342 صندوق بقيمة 90.000 دولار . وهكذا بدأ الإحتكاك المسلح بين سكان المستعمرات في أمريكا وإنجلترا، وعزمت حكومة انجلترا على انزال العقاب بمدينة بوسطن بغلق مرفئها حتى يتم تسديد ثمن البضاعة. كما أصدر عام 1774 قانون كيوبك لتنظيم المستعمرات الفرنسية ووضعها تحت سلطان حكومة لندن مع فرض رقابة على التوسع في هذه الأراضي. ومن هنا نشب الصراع بين حكومة انجلترا وسكان مدينة بوسطن.

لم تقف الولايات الأمريكية موقف المتفرج مما يحدث بل أعلنت أن أي اعتداء على أي ولاية أمريكية هو اعتداء على جميع الولايات، وتطورت الأوضاع السياسية بشكل سريع فقررت الولايات الأمريكية عقد مؤتمر في فيلادلفيا في 15 سبتمبر 1774 لدراسة الأوضاع الناجمة عن تردي الأوضاع السياسية والإقتصادية في ولاياتهم.

انعقد المؤتمر في مدينة فيلادلفيا حضره 56 مندوبا يمثلون 12 مستعمرة من بينهم جون آدامز عن ماساشوسيتس وجورج واشنطن عن فرجينيا،... وصدرت عن المؤتمر بعد سبعة أيام من الأشغال عدة قرارات تنص أساسا على رفض القوانين الجائرة وطلب إلغاء الضرائب، ومقاطعة الضرائب الإنجليزية والإعلان عن تأسيس أول كونغرس أمريكي من مندوبي الولايات التي اشتركت في المؤتمر.

بالرغم من هذه الإحتجاجات فقد استمرت الحكومة الإنجليزية في سياستها وأرسلت قوات عسكرية جديدة الى بوسطن في الوقت الذي أخذت فيه الولايات الأمريكية تعد قواتها المحلية لمقاومة القوات الإنجليزية ومثال ذلك معسكر ولاية كونكورد (30 كلم من بوسطن) التابع لجون آدمز. بمحاولة الجنود البريطانيين الإستلاء على مخازن الذخيرة السرية التي أقاهما الأهالي في كونكورد، أطلق البريطانيون الرصاص على الأمريكيين وكانت هذه أول طلقة في الثورة الأمريكية وأطلق على هذا اليوم 19 أفريل 1775 يوم كونكورد واعتبره المؤرخون البداية الفعلية لحرب الإستقلال الأمريكية.

في 10 ماي 1775، ترأس جون هانكوك تاجر من بوسطن مؤتمرا ثانيا في فيلادلفيا بحضور بن يامين فرانكلين وجيفرسون تقرر خلاله اعتبار الجيش المحارب حول بوسطن جيشا أمريكيا وإنشاء جيش موحد من الولايات المشاركة في المؤتمر برئاسة جورج واشنطن، وقد قدمت دعوة للكنديين لحضوره، وإرسال التماس الى الملك جورج الثالث يطلبون فيه إعادة نظر حكومته في الإجراءات التعسفية ضد ولاياتهم وبخاصة ضد ولاية بوسطن، وكان هذا الإلتماس هو الأخير للوصول الى تفاهم مع الملك الإنجليزي يحصلون بواسطته على حل وسط يرضون به ويرضى به الملك جورج وحكومته.

لم يأبه الملك الإنجليزي بكل ما حدث بل أصدر في 23 أوت 1775 تصريحا بأن المستعمرات في حالة عصيان. وقع أول اشتباك رسمي بين الثوار والجيش البريطاني بالقرب من مدينة بوسطن في 17 جوان 1776 ببنكرهيل التي خسروها لكنهم ألحقوا الخسائر بالقوات الإنجليزية واستمروا الى أن تمكنت قوات جورج واشنطن من تحرير المدينة وطرد الجيش البريطاني منها. وفي 04 جويلية 1776 تم تبني إعلان الإستقلال الذي كتبه توماس جيفرسون بمساعدة بن يامين فرنكلين وجون آدامز والذي حمل في طياته بذور الحكم الديمقراطي. وقد جاء فيه:

- إن جميع الناس خلقوا متساوين وإن الله تعالى قد وهبهم حقوقا ثابتة ومن بينها حق الحياة وحق الحرية وحق السعي وراء السعادة.

- تستمد الحكومات سلطتها من رضى المحكومين، ولكن إذا عبثت أية حومة بتلك الحقوق أو تعدت عليها يصبح من حق الناس أن يغيروها أو يلغوها ويقيموا حكومة جديدة تحترم حقوقهم وتعمل على حمايتها.

دخلت الثورة مرحلة جديدة عندما أرسلت بريطانيا ثلاث جيوش لاحتلال مستعمرة نيويورك، وقد انتصرت قوات جورج واشنطن على تلك الجيوش بعد أن حاصرتها واشتبكت معها بالقرب من بلدة ساراتوغا التابعة للمستعمرة المذكورة في 17 أكتوبر 1777 ولذلك سميت المعركة بمعركة ساراتوغا.

ساهمت فرنسا بدور غير بسيط في مساعدة الثوار ضد الحكومة الإنجليزية وقد أرادت فرنسا أن تثأر من عدوتها التقليدية انجلترا التي سلبتها مستعمراتها فقدمت لهم المساعدة المالية والعسكرية وحتى عددا من المتطوعين(الماركيز دي لافييت) والذين بلغ عددهم ستة آلاف جندي مدرب. أخذت هذه المساعدات في بادئ الأمر طابعا خفيا لتتحول الى مساعدات علنية بعد أن استقبل فرانكلين روزفلت في البلاط الفرنسي في 06 أوت 1778. ساعدت اسبانيا أيضا الثوار الأمريكيين نكاسة بانجلترا التي رأت فيها خطرا يهدد المستعمرات الإسبانية ولنفس الدوافع تقريبا كانت المساعدات الهولندية.

كانت آخر الهزائم التي مني بها الإنجليز في أمريكا هزيمة القائد الإنجليزي كورن واليس عندما ارتد الى مدينة يورك تاون عند مصب نهر يورك بعد أن هاجمه جورج واشنطن بجيش خليط من الأمريكيين والفرنسيين قوامه 16000 رجل. كما أن مواصلات القرات الإنجليزية كانت قد قطعت بواسطة الأسطول الفرنسي الذي منع القوات الإنجليزية من الهرب بطريق البحر. وتعتبر هذه المعركة من أقوى المعارك وأشدها ضد الإنجليز الذين هزموا فيها هزيمة شنعاء في أكتوبر 1781 ولم يبق بيد بريطانيا إلا مدينة نيويورك.

وهكذا لم يعد بمقدور انجلترا استعمال العنف في حل قضاياها في أمريكا بعد هذه الهزائم المتلاحقة ضدها. عندها لجأت الى طلب الصلح والى التفاوض. وقد تم توقيع معاهدة بين الأمريكيين والإنجليز في 03 سبتمبر 1783 أهم ما جاء فيها اعتراف انجلترا باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية ومنحها كل الأراضي الواقعة بين جبال الأليكاني وبين نهر الميسيسيبي، والعمل على تحسين العلاقة بين الحكومة الإنجليزية والدولة الامريكية.